تقاطعات القيم الدينية والتغيرات الحضارية لبعث الحوار

Intersections of religious values and cultural changes to revive dialogue

بلبول نصيرة[1]،
جامعة الجلفة (الجزائر)،

تاريخ الاستلام: 31/ 08/ 2020	تاريخ القبول: 03/ 09/ 2020	تاريخ النشر: 15/ 10/ 2020

ملخص: الواقع يشير أن الاهتمام بالشأن الديني نابع من الامتداد التاريخي ومن حصيلة تراكماته المعبرة على طبيعة المجتمعات وأنظمتها التي لم تتوقف آثاره وتوابعه الناتجة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حياتنا اليومية، والواضح في أثره السياسي والاقتصادي والتربوي والاجتماعي والثقافي، ومن هذا المنطلق يصبح الاهتمام بالبعد الديني ضرورة تفرضها معطيات الواقع المعاش نحو ترسبات تطرح بذور الحوار الذي أصبح ضرورة أمام ما نشاهده من تغيرات وتوترات تستدعي المتابعة وفرض بدائل من شأنها تقليص حجم الأزمات والمساهمة في بناء حضارات تتجاوز الاختلافات والخلافات..

الكلمات المفتاحية : الدّين، الحوار ، الصراع، الحضارة، التعددية الثقافية، التغير الاجتماعي

Abstract: The Reality indicates that interest in the religious issue stems from the historical extension and the outcome of its expressive accumulations on the nature of societies and their systeme,whose effects and consequences have not stopped directly or indirectly in our daily life,and it is clear in its political, economic, educational, social and cultural impact, and from this standpoint, interest in the religious dimension becomes a necessity. The condition imposed by living reality impose them on deposits that pose the seeds of dialogue, which has become a necessity in front of the changes and tensions that we are witnessing that we are witnessing that require follow-up and the imposition of alternatives that reduce the size of crises and contribute to building civilizations that go beyond differences and disagreement.

Keywords: Religion, dialogue, conflict, civilization, multiculturalism, social change.

. إشكالية البحث:

القول بأن النسق الديني يستمد استمراره من خلال استمرارية المجتمعات أكسبه شرعية اجتماعية يصعب الجدل فيها، حيث يمكن القول أنه اكتسبها حتى قبل تشكل المجتمعات حسب بعض الطروحات الدينية، غير أن هذا لم يعفه من التناولات المعرفية على اختلافها إذ لم يعد الاهتمام بالطرح الديني شأنا فلسفيا أو دينيا فقط، ولم يعد حكرا على رجال الدين أو رجال السياسية والقانون، أو نخبة دون الأخرى، بل أصبح انشغالاً عالميًا ومجالاً مفتوحًا أمام العابدين والدارسين والباحثين على اختلاف اتجاهاتهم وإسقاطاتهم، وهذا ما طرح التناقضات والتعارضات وغذى الخلافات إلى حد النزاعات في الأصول والمبادئ العقائدية الأولى، مما أنتج مصطلحات جديدة لها استعمالات كبيرة احتوت بعضها تدنيسات للمقدس وبعضها تقديسات للمدنس، وظهرت تيارات مناوئة له، وتحاول في الوقت نفسه تصنيفه ضمن خانات ضيّقة ومحدودة الأفق، مقابل تصنيفات تعتبره منهج حياة لا يمكن التّخلي عنه، وبين النّظرية والتّطبيق نتقصّى ارتباطه بالمجتمع من خلال ماهيته وواقعيته.

لقد أصبح السؤال الديني متجاوزا للطروحات الفلسفية التي تبحث عن الله وعن صوره وعن أصل الكون ومصير الإنسان...وغيرها، وتطورت إلى تناولات تترجم لغة العصر، وهي تلك المهتمة بدور الدين في بناء المجتمعات وارتباطاته بمختلف الأنساق وفاعليته ومدى توافقه وطموحات الأفراد والجماعات من حيث عدة مداخل، وعليه سنحاول في موضوعنا التركيز على القراءات السوسيولوجبة التي تبحث في شأن الاختلافات الإيديولوجية للدين وانعكاساتها على المجتمعات في ظل ما نشهده من ترويج للتطرف والعصبية واستعمالات كثيفة لخطابات العلمنة الداعية لتجاوزه لضمان مسيرات النجاح والتقدم وحتى بداعي الحوار ومنهج التثاقف، فهل بإمكاننا الارتكاز على الدين كباعث فاعل لحوار الثقافات والحضارات؟

مفهوم الدين :

نجد أن كلمة دين في اللغة العربية[1] انحدرت من كلمة دين الأكدية، التي كانت تعني القضاء والحساب، والحقيقة أن هذه الكلمة الأكدية ترجمة لكلمة أور السومرية، التي كانت تعني المدينة، لأن المدينة كانت هي مكان دار القضاء والعدالة، وهكذا فقد قفزت الكلمة الأكدية[2] "دين" إلى معنى دلالي آخر، سرعان ما أخذ الكثير من المعاني في لغات العالم القديم، فبالإضافة إلى المعنى العربي الذي لم يأت من الأكدية مباشرة، بل من الآرامية دينو أي الديّان في العربية وهو القاضي الذي أصبح دالا على الله في الجهاز الاصطلاحي والطّريف أنّ هذه الكلمة احتفظت بمعناها السّومري الأوّل أي المدينة، عندما رحلت إلى الإغريق وترجمت بلغتهم إلى بوليس **polis** التي تعني المدينة، وتعني السياسة **politic**،

---

[1]- خزعل الماجدي ، علم الأديان ، المركز الثقافي للكتاب ، الرباط "المغرب"، الطبعة الأولى ، 2006م، ص26- 27.

[2]- هي الإمبراطورية الأكدية تمركزت في مدينة أكاد "سومرية" أرض أكد ، وحسب التأريخ التواراتي–أكد- و بالمناطق المحيطة بأكد ، في منتصف بلاد الرافدين ، تقع أكد على الضفة الغربية لنهر الفرات بين زمبير وكيش (في العراق 50كام جنوب غرب مركز بغداد) ، على الرغم من الأبحاث واسعة النطاق ، لم يتم العثور على الموقع بوجه دقيق ، وازدهرت الحضارة الأكدية خلال الفترة 22-24 ق م .

والشرطة والقضاء بوليس **police**، أمّا الدّين عندهم فلا علاقة له بهذه الكلمة، واسمه كرسيستا،وكريست أتت من الكلمة اليونانية كريستوس، وتعني الشخص المسموح وكريستوس هي النسخة اليونانية لكلمة كريشنا الهندية ، التي تعني انجذاب ، وتشير إلى الإله كريشنا أو كريست ، ويشير إلى جاد **God** وتعني الإله الأب والابن ، أي المسيح الممسوح بالزيت .

وإذا ما رجعنا إلى القاموس المحيط أو إلى لسان العرب أو إلى غيرهما من المعاجم[3] ، فإننا نجد عدة معان متناقضة للدين ، فالدين هو الملك وهو الخدمة وهو العز والذل وهو الإكراه وهو الإحسان وهو العادة وهو العبادة وهو القهر والسلطان وهو التذلل والخضوع وهو الطاعة والمعصية وهو الإسلام ، وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد الله . والواقع أن الكلمة المراد شرحها ليست كلمة واحدة بل ثلاث كلمات ، أو أنها بعبارة أدق تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب ، فكلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد اللام دان له ، وتارة من فعل متعد بالباء دان به وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة.

الدين بالكسر[4] هو العادة والشّأن، أو أنّه يدينه دينًا بالكسرة أذلّه واستعبده فدان، وفي الحديث: "الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"، والدين أيضًا الجزاء والمكافأة، يُقال: دان يُدينه دينًا أي جازاه، ومنه الديّان في صفة الله تعالى، والمدين العبد، والمدينة الأمة كأنهما أذلّهما العمل وأنّه الملك، والدين أيضًا الطاعة ، تقول دان له يدين دينًا، أي أطاعه.

وقد جاء لفظ الدين في القرآن بعدّة معان مترابطة[5]، في قوله تعالى:"ومن أحسن دينًا ممن أسلَمَ وجهه لله وهو مُحسن" الآية 125 من سورة النّساء، أي أحسن طاعة وعبودية ودان الله بمعنى أطاعه وأحبّه وخافه، وفي قوله تعالى: "وكُنّا نكذّب بيوم الدين" الآية 46 من سورة المدثّر، وقوله تعالى: "مالك يوم الدّين" أي يوم الحساب والجزاء، وقوله تعالى: "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك "الآية 16 من سورة يوسف، أي قانون الملك ونظامه وشريعته، وقوله تعالى: " الزّانية والزّاني فاجلدوا كل واحد مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" الآية 2 من سورة النّور، أي في حكم الله وقانونه السّماوي، ويأتي لفظ الدّين في القرآن بمعنى المَنْهج والطريقة في قوله تعالى: " لكم دينكم ولي دين" الآية 6 من سورة الكافرون، أي لكم منهجكم وطريقتكم في عبادة غير الله ، ولي منهجي وطريقتي في عبادة الله ، ويأتي الدين في القرآن بمعنى العقيدة والملّة حيث يقول الله تعالى: " شرّع لكم من الدين ما وصّى بها نوحًا والذي أوحينا إليك وما أوصينا به إبراهيم وعيسى أن أقيموا الدين "الآية 13 من سورة الشورى، ويأتي الدين في القرآن بمعنى نظام الحياة عامّة عقيدة وشريعة وخلقًا في آيات بينات واضحات، في قوله تعالى: " إنّ الدين عند الله الإسلام" الآية 19 من سورة آل عمران ، وقوله تعالى: " ومن يبتغي غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" الآية 75 من سورة آل عمران.

مفهوم الدين عند الغرب

---

[3]- نبيل محمد توفيق، الدين والبناء الاجتماعي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة –المملكة العربية السعودية- ، 1981م ، ص17.

[4]- محمد بنتاجة ، نظرية التّقارب بين الأديان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 2015 ، ص 25.

[5]- نبيل محمد توفيق ، مرجع سابق ، ص 21.

كلمة دين العربية تقابلها كلمة "**Religion**" المقتبسة من اللغة اللاتينية، وقد اختلف المعجميون في أصل الاشتقاق لها، وأكثر المتقدين يردها إلى مادة تفيد الربط الشامل:لربط الناس ببعض الأعمال من جهة التزامهم وفرضها عليهم، ولربط الناس بعضهم ببعض، ولربط البشر بالآلهة[6]، ويرى ماكس مولر[7] "1822-1900" الفيلسوف ومؤرخ الأديان أن الدين قد تولد من تزاوج مبدأين نفسيين هما: الذكاء الفطري، وحاسة الوجدان ، أما فيورباخ[8] فيذهب أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة.

الدين ظاهرة ثقافية أكثر مما هي طبيعية[9]، ومن ثَمَّ هو هبة ربانية، أو منحة، أو نعمة أنعمها الله على عبده، وهو أيضًا مجموعة من المعتقدات المتعالية عن المكان والزمان الحسيين، يتميز السلوك الديني بالانتقال من المدنس نحو المقدس، أو الانتقال من الدنيوي إلى الأخروي أو الروحاني، وفيه تحريم المساس بالمقدس أو انتهاكه، ومن ثمة فالدين بمثابة "طابو" لا يمكن خرقه أو تجاوزه أو التمرد عنه لتعلو صفة المقدّس على الأشياء وتصبح دينًا يؤمن به الأفراد، ويتشكّل المقدس ليصبح محورًا أساسيًا للدين، هذا المقدس[10] الذي يخضع للإطار الديني، ويعتبر قاعدة تحملنا مباشرة إلى النسق الديني داخل المجتمعات، وتُعتبر أفكار ودراسات دوركايم من أهم المصادر التي بلورت هذا التّصور للدين، ويقدم لنا المقدّس على أنه اجتثاث[11] جلي لأشياء من هذا العالم مقدّر لها أن تلعب وظائف غير مدنسة، والمقدس هو شيء من العالم الدنيوي أمحت طبيعته الأولى وتغيرت ملامحه تحت رغبة البشر أنفسهم، فالنّاس هم منتجوا المقدّس مثل آلهتهم، ثمّ يقدّرون أنّ ذلك الشيء أو تلك الأشياء باتت مستقلّة عن إرادتهم ، ويصير المعتاد خارقا، وبالتالي يمكن للمعتاد نفسه أن يدّعي تضمنه لمكوّن علوي لا يعلى عليه، وغير قابل للتجاوز.

لمحة عن المقاربة السوسيولوجية للدين

يبدو أن **دوركايم** قد ركز على معنى المقدّس وضمّنه معنى الدين وجعله محوره، ويعتبر التناول الدوركايمي للدين تناولًا سوسيولوجيًا، حيث أنّه يقدّم لنا الدين كظاهرة اجتماعية فعرض وظائفه ودوره داخل المجتمع، واعتمد في ذلك على دراساته حول المجتمعات البدائية لأنها تعكس التصور الديني في شكله الأول أو البسيط بعيدًا عن المجتمعات الحديثة التي أضفت صفات وخصائص ثانوية

---

[6]- مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، الطبعة الأولى ، 2019، ص 13-14.

[7]- نبيل السمالوطي ، الدين والبناء الاجتماعي ، دار الشروق ، جدة ، الجزء2 ،1981، ص 79-80.

[8]- مصطفى عبد الرزاق ، مرجع سابق ، ص 14-15.

[9]- جميل حمداوي ، ميادين علم الاجتماع ، المغرب ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، 2015 ، ص134.

[10]- ويقدم انزو باتشي وسابينواكوفيفا تعريفا للمقدس في كتابها علم الاجتماع الديني بأنَّ الامتداد اللغوي لكلمة مقدّس في اللاتينية يعود إلى مفردة "Sacer"، ويرد المعنى في تلك اللغة مزدوجا ،ما هو حكر على الآلهة ، وفي الوقت نفسه مايثير الرهبة، وبالتالي مصطلح "Sacrificio" المنحدر من تلك الكلمة، وحسب دوركهايم فإن المقدس هو عادة ما نترجمه بالقربان والأضحية والذبيحة يتضمن معنيين مختلفين، فهو في الوقت نفسه "اخفاء القداسة" و"الهلاك موتا"، بهذا المعنى يتقابل المقدس مع المدنس مع ما يبقى خارج الحرم القدسي، وبالتالي يستدعي المقدس فصلا يقوم بها البشر لإسداء الشكر إلى الآلهة.

[11]- سابينواكوافيفاوإنزو باتشي ، علم الاجتماع الديني الاشكالات والسياقات ، ترجمة: عز الدين عناية ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبوظبي ، الطبعة الأولى ، 2011 ، ص 37 .

على الدين جعلته أكثر تركيبًا وتعقيدًا، وتمكّن دروكايم من وضع طرح سوسيولوجي للدين يربطه بالظواهر الاجتماعية، وتأتي أهمية هذا التناول من خلال الاعتماد النّظري الذي ساهم في التّأسيس للدراسات الدينية كظواهر واعتباره إنتاجًا اجتماعيًا تتحكم فيه المعطيات الاجتماعية.

المتبع للتناول الدوركايمييجد أن للدين قراءة تتقمصها اتجاهات فكرية كثيرة، وعرض هذه الدراسة التي ترى في الدين إنتاجًا اجتماعيًا أو مرحلة ما تنفك تمر أو تنتهي بسبب ظروف معيّنة كغيرها من الظواهر التي تتفاعل مع محيطها، تأتي ضمن نطاق واسع من التناولات التي تبنت مثل هذه المقاربات وحولت الدين موضوع دراسة، خلقت من الأفكار والأيديولوجيات ما جعلت الدين موضع مسائلة يقتضي إعادة النظر بشأنه، بل وقد يمكن اعتباره مجرد مرحلة تعبر عن حقبة تعيشها المجتمعات.

من خلال تتبع الطروحات السوسيولوجية المختلفة نجد الكثير من التقاطعات التي تتجه في نفس الاتجاه تقريبا بخصوص موضوع الدين، وهذا ما نستشفه من خلال ما جاء به **دوركايم** مع كارل ماركس[12]إذ نجد أنه يعتبر أنّ الدين يمثل شكل من أشكال الوعي الاجتماعي والوعي الاجتماعي هو الوجود الواعي للبشر، وهو متطور بتطور حياتهم الواقعية، فالبشر هم منتجوا تصوراتهم وأفكارهم وقوانينهم وأخلاقهم ودينهم وميتافيزقيتهم...الخ.

يعتبر **ماركس** أنّ الدين نتاج الدولة والمجتمع، وهو انعكاس خيالي في أذهان البشر لتلك القوى الخارجية المسيطرة عليهم وعلى حياتهم، وأنه نشأ من خلال علاقة الإنسان بالطبيعة، أين كانت الطبيعة مسيطرة على الإنسان، وهو يقصد المراحل الأولى من الفكر البشري، حيث لجأ الإنسان إلى تكوين أفكار وتصورات للدين، ومن ثَمّ مع تقدم التاريخ قاموا برسم وتكوين تشخيصات تجسد أفكارهم وتترجمها إلى رموز معينة تحمل كمية الأساطير والقصص الخارقة المتداولة والمتناقلة من جيل إلى جيل.

وليس بعيدا عما سبق نجد أنه تم في مقاربات سوسيولوجية الموازاة مع هذا التنظير للدين، فقد أسقط عنه صفة الإطلاق والثبات و الدوام، وهي القواعد الأولى المؤسسة للدين، وهذا ما حملهم إلى ربط الدين بفكرة نهاية تاريخ الأديان كمشروع أو نظام داخل المجتمعاتبوجوب تقليص وظائفها داخل المجتمع، وتعتبر ضرورة الطّرح الموضوعي هي التي تفرض عرض الفكر الماركسي للدين، خاصة مع ما أفرزه من تيار فعال أحدث تغيرات مهمة سجلها التاريخ البشري، ساهمت في بعث فكرة تغير الدين مفهوما وممارسةداخل المجتمعات ، وتسعى إلى الوصول به نحو مرحلة الاستغناء عنه تمامًا. دون إغفال اتجاهات أخرى كثيرة تسير نحو هذا الطرح ، في مناخ مُهيّأ تمامًا لمشروع يدعو لعلمنة الدين، أمام تيار الإلحاد المتنامي الذي تغذيه أفكار سيكولوجية وتطورية وليبرالية ...وغيرها، تشكل انجازات العصر، وتصب نحو حصر الدين في فكر إنساني قابل للتغير والتجديد أو حتى الإلغاء والنفي، وذلك حسب مختلف الاجتهادات الفكرية التي نصل لها متجاوزة الأبعاد الروحية التي شكلتها وغذّت منابعها.

معتقد الدين في تاريخ الفكر الإنساني

[12]- فريال حسن خليفة ، الدين و السياسة في فلسفة الحداثة ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر، 2005 ، ص159 .

قبل التكلم عن الدين باعتباره يشكل مجموعة من القواعد والقوانين والقيم، وأنه ينظم سلوك البشر في إطار معين، وقبل الخوض في طقوسه وعاداته ودوره في المجتمع وما إلى ذلك، نجد أنّ الدين في بدايته عبارة عن فكرة ثم اعتقاد، يعالج أكثر سؤال حيّر الإنسان في رحلته الطويلة، وهو طرح لازم البشرية ولا يزال يُطرح، وإن كان منظري تاريخ الفكر البشري يعتبرون أن مرحلة الدراسات الميتافيزيقا والماورائيات قد تجاوزها في مرحلة ما، إلا أن السؤال بقي يدور في خُلد البشر وليزال مقترنا بتفسيرات ومعطيات لا تخلو من التجريد ومن حمل الإنسان إلى إعمال الفكر والروح ومن ثَمَّ الاعتقاد، فالدين باختصار يطرق ويصيغ إجابات مختلفة عن التساؤلات التي حيرت تفكير الإنسان، حول فكرة الموت وما بعدها، وحول فكرة الخلق والكون، وحول الأبدية والخلود، وحول فكرة الحساب والعقاب، وأيضًا فيما يخص مستقبل الإنسان ومصيره ، التي تتبادر في العادة إلى أذهان البشر، فيتشتت فكر الإنسان بين الروايات والأساطير والنصوص التي تقوم عليها الديانات، لتتشابه أحيانا، وتتناقض أحيانا أخر، وأثناء رحلة البحث عن الحقيقة، أو ما يراه الفرد حقيقة وفق معايير معيّنة، فيتبنى ما يراه مناسبًا لتشكل له عقيدة ومنهج، وتصبح محور حياته، وبين من يرفضها وينأى عنها ليصبح ملحدا أو طبيعيًا أو علمانيًا.

وبين هذه المداولات يبقى الدين راسخا في المجتمعات ويتشكّل داخلها، ويتمظهر في ثقافة الأفراد وممارساتهم وكل ما يتعلق بنمط حياتهم، فيجسد أمامنا من خلال جملة الطقوس والقوانين والضوابط التي يسير عليها الأفراد، ليصبح تناولنا لهذه الممارسات مقياسا لتديّن الأفراد، لنتحول بذلك بالدراسات العلمية نحو تناول دور الدين في المجتمع الذي يبدو أنه موضوعا لا يمكن أن نصنفه ضمن سلسلة الدراسات الآفلة، لأنّ وتيرة الاهتمام تتزايد وتتفرع أكثر فأكثر، ولعل هذا المبحث يرجع إلى الأثر الكبير للدين في المجتمعات، وعلى مسارها حتى بخصوص علاقاتها الخارجية، ويأتي هذا ضمن الدراسات الحديثة والجديرة بالبحث والعناية التي تسعى نحو البحث في شأن الدين، كما يصبح هذا التّوسع والاهتمام مناقضًا تمامًا لتلك الآراء التي ترى في الدين نسقًا مصيره الزّوال، خاصة عندما نجده قائمًا في المجتمعات الأكثر تحظّرًا وتطوّرًا ، رغم المساعي المتواصلة المتجهة نحو إقصاءه وإلغائه.

ترى المدرسة الفرنسية بوجليه[13] أنّ من القصص والأساطير الدينية قد خرجت فيما بعد الآداب والفلسفات والعلوم، ومن الاحتفالات الدينية بمظاهرها البراقة خرجت الفنون الجميلة كالرسم والتصوير والحفر والموسيقى والتمثيل وفن العمارة، ومن الأوامر والقواعد الدينية خرجت أصول الأخلاق والقوانين الوضعية بعد ذلك. فالتّواجد الديني عبر التّاريخ في المجتمعات لا يدور حول مجرّد الفكرة والاعتقاد فقط، بل هو أيضًا إنتاج متجذّر تجاوز حدود الممارسة الطقسية إلى تأسيس أنظمة اجتماعية أصبحت تشكل دعائم البناء الاجتماعي، وعلى فرض الجدل حول شأن تأسيس الأنظمة الاجتماعية، يسقط هذا الجدل تمامًا عند قولنا بمساهمة الدين في تكوين الأنظمة والأطر الاجتماعية على اختلافها وبلورتها وفق معايير دينية.

وظائف الدين

[13]- عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني ، رامتان جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، 2008 ، ص86.

وظيفة الدين الأولى التي يتفق عليها أغلب الدارسين والمؤرخين هي الحفاظ على النظام الكوني والاجتماعي، وخلق نظام مركزي تقوم عليه البناءات الأساسية في المجتمعات وتحقيق توازنات داخله تحافظ على استقراره، وقدرته على تصدير القيم والقوانين والأعراف وتشكيل وعي معين بإمكانه المساهمة في قولبة الثقافة وتكوين الشخصية الفردية والاجتماعية التي تبني الهوية وتخلق تفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد لتصبح امتدادا لهم، مما أدخل المركب الديني في التكوين الحضاري للشعوب، وهذا ما يثبته المؤرخون في دراساتهم ، كما أخذ الدين اتجاهات سياسية لما يشكله من إيديولوجية تلامس العاطفة وتربط الأفراد وتجعلهم رهينة للمعتقدات والممارسات الدينية، فتسيس الدين وتحول إلى أداة للتحكم في اتجاهات الشعوب وإخضاعهم لما يخدم سياسة الحكام ، مما أنتج فيما بعد تيارات فكرية ترى في الدين عائقا للتطور والتقدم، ومن ثم بدأت الخلافات حول مكانة الدين في المجتمع ودوره فيها وكيف أنه يقيد الحريات ويوجهها، بالإضافة إلى اختلاف الخصائص الدينية والتي تم تناولها وفق قوالب مشتركة لو تراع هذه الاختلافات فأنتج لنا أزمات فكرية ودينية وسياسية بسبب هذه التناولات.

الاعتماد الديني للتكوين الاقتصادي الرأسمالي

لا يفوتنا في هذا الباب أن نعرض فكر ماكس فيبر الديني وتأويلاته الاقتصادية الاجتماعية للدين، حيث قسم ماكس فيبر الدين إلى قسمين[14]، الدين التقليدي والدين العقلاني، كما قام بتحليل طبقات المجتمع المختلفة، وموقف كل منها تجاه الدين، ليصل إلى تأكيد تأثير (نوع) العلاقات الاجتماعية على (نوع) الدين بوصفه معرفة من حيث التقليدية أو العقلانية، كما أن الدين بوصفه نوعا من المعرفة يظهر بين الطبقات بمستوى واحد وصورة متّفقة. أما بخصوص تأثير الدين على الاقتصاد فقد أثبت فيبر دورا للدين في بلورة السلوك الاقتصادي والتحول في العقلانية الأوروبية وذلك عندما انطلق من اعتباره علاقة تلازمية بين الإيمان والنجاح الذي يأتي من الإخلاص، "فبحسب الإيمان بالقدر يأتي خلاص[15] الفرد بالإيمان وحده ، فالله وحده من يعلم ويحيط بمن سيكون من النّاجين، ومن سيكتب له الخسران لتبقى الإمكانية الوحيدة المتاحة ، بيد الإنسان أن يعيش إيمانه في الدنيا بمثابة الرسالة، هكذا يكرّس حياته لفعل ما يحثّه الرّب على فعله، لإتمام عمله بنجاح، فرحمة الرب مرتبطة بمدى نجاح الفرد، فيصبح عيش عمله الخاص كالتزام دعاه الرب في هذا العالم لإتمامه، وبالتالي الفعل الاجتماعي، على معيار أخلاقي، على منهج عقلاني، وعلى منسك معيّن، قد يكلّفه ذلك تضحيات في الوقت الحاضر لتحقيق نتيجة ايجابية مستقبلا". فثمّة عقلانية الفعل الخلقي التي يحتاجها النشاط الاقتصادي ، هذا الطرح الفيبري جمع فيه بين الكالفينية والرّأسمالية من خلال العناصر الأخلاقية التي تصب مباشرة نحو إنتاج الرأسمالية الحديثة .

---

[14]- مجموعة من الباحثين ، سوسيولوجيا المعرفة جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية ، مركز الغدير، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2011 ، ص9.

[15]- سابينوأكوافيفاوإنزو باتشي ، مرجع سابق ، ص53.

لم ير **ماكس فيبر**[16] أنّ العوامل الثّقافية مثل المذاهب الدينية ذات أهمية في رسم معالم المجال الاقتصادي والاجتماعي والمادي فحسب، بل أكد أنّ العكس صحيح أيضًا، فقد تترك العوامل المادية أثرًا في الديانات ، وطرح فكرة "النزاعات الانتقائية" التي تشير إلى العلاقة الخاصة التي تنشأ بين العوامل المادية والمثالية في بعض الحالات، والتي تمارس بموجبها كل منها التّأثير في الأخرى ، فعلى سبيل المثال مالت بعض الطبقات الاجتماعية إلى تبنّي أخلاقيات دينية معينة "عوامل مثالية" حتى تتمكن من الحفاظ على نفوذها وثروتها أو زيادتهما. إذ تحافظ الطبقات الأرستقراطية على قوّتها جزئيًا عن طريق تبني طقوس دينية دقيقة كوسيلة لإقصاء الطبقات الأقل شأنًا منها، نتيجة لذلك، نجد أنّ الطبقات الأرستقراطية تنجذب إلى الديانات ذات الطّابع الشّكلي التي تتسم بطقوس دينية دقيقة جدا، وتتبناها تاركة وراءها العبادات التي تتصف بالحماسة والانفعالية للطبقات الأدنى في السلم الاجتماعي. **ماكس فيبر** ليس رجل دين بل هو دارس للدين، وهو عالم اجتماع واقتصاد وشكل الدين عنده المحور الأهم في دراساته، كما ساهمت طروحاته في دعم الرأسمالية من خلال منطلقاته وأفكاره وهذا ما يبدو جليًا في كتابه : " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية".

الرواسب الدينية في المجتمعات الحديثة

يبدو أن الاهتمام بالشأن الديني مرتبط بالحياة الاجتماعية في كل اتجاهاتها مما يجعل أهميته تبقى حاضرة عند الكثير من الدارسين للواقع الحاضر، وليس بعيدا عن هذا الطرح نجد **صامويل هانتغتن**[17] يقول أنّ ما يهم النّاس ليس هو الإيديولوجيا، أو المصالح الاقتصادية ، بل الإيمان والأسرة والدم والعقيدة ، فذلك هو ما يجمع الناس، وما يحاربون من أجله...والدين محوري في العالم الحديث، وربما كان القوة المركزية التي تحرّك البشر وتحشدهم . كما أنه يجدد بهذا الطرح حقل الاهتمام بالدراسات حول الدين كونه المركز والمحور الأهم في إنتاج العلاقات وتحريكها ، ويأتي هذا بعد سلسلة من الدراسات ترى في الدين نظامًا مآله الاندثار بسبب معطيات التّحديث وسياسة العولمة الطاغية بفضل تقدمها المادي في جميع صوره، وتحاملها على الدين كفكرة قديمة لا تتناسب والتّطور العلمي والمعرفي، ويُعتبر رأي هنتغتن تفنيدًا وتعارضًا مع هذا الرأي، ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ موقفه ليس نابعًا من دعم للاتجاه الديني، وإنما جاء على ما استقاه من أهمية الدين في الواقع ودوره في توجيه حياة الأفراد والمجتمعات ، فهو يرى فيه عائقا إبستمولوجيا بالنسبة للحداثة ، كما أنه لا يخفي رأيه في كونه باعثا للحضارات والتي قد تشكل تهديدا للحضارة الغربية.

توظيفات إيديولوجية للنسق الديني

يقع مكمن العلاقة بين الطرح الفيبري والرؤيا الهغتنتونية في الدور المحوري للدين للمجتمعات والاعتماد عليه من أجل السيطرة على العملية التغيرية ، وأنتج لنا بذلك فيبر نظامًا يهدف إلى تحقيق المكاسب المادية ، وتحقيق الرّيادة في ذلك هو تحقيق فوز دنيوي وأخروي ، أمّا هنتغتن فقد تجاوز

---

[16]- ديفيد انغليز وجون هيوستون ، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة ، ترجمة: لمّا نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013 ، ص 51.

[17]- صامويل هنتغتن ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة: طلعت الشايب ، نيويورك، الوم أ ، الطبعة الثانية ، 1999 ، ص10.

المرحلة المادية ويرى أنّ الدين من شأنه أن يقضي على هذه الحضارة " المادية " ، كما من شأنه أن يحافظ عليها ، فهو مبعث الصراع كما كان سابقًا وكما سيصبح مستقبلًا ، لأنه حاجز أمام التغيير الذي تفرضها إيديولوجية الغربنة وفرض سيطرتها بممارسة الهيمنة لكونها السبيل الأنسب لضمان الصدارة الحضارية ، ويبقى الدين بالنسبة له هاجسًا لأنه يصنع الفرق بين المجتمعات، هذا الفرق والاختلاف الذي يغذيه الدين هو جوهر الصراع حسب ما جاء به **هنتغتن**، وبهذا الطرح نجد أن الإيديولوجية الهنغتونية تصدر الدين كمغذي للصراع والصدام الحضاري باعتباره عنصر فاعل في البناء الاجتماعي وفي تشكيل ثقافة المجتمعات بمختلف تمظهراتها، وفي مقابل ذلك لا يذهب هذا الاتجاه نحو تجنب الصراع بل يطرح مبادرات تحافظ على استمرارية الحضارة الغربية بكل ما تحتويه من خصوصيات ثقافية وذلك من خلال ضبط آليات عملية التثاقف من خلال التحكم مثلا في وسائل الاتصال والهجرة وكل مدخلات النسق الثقافي والنظام الاقتصادي ...وغيرها.

التناول الديني في الفكر الغربي

إن علاقة المجتمع الغربي بالدين تعكس الطرح الذي تناول علاقة الدين بالعقل، وهي علاقة متوترة مليئة بالصراع تعبر عن حقيقة الطبيعة الإنسانية في حد ذاتها ، كطبيعة متجاذبة بين قطبين مختلفين في جوهرهما وتوجههما، وقد بلغ الصراع ذروته في عصور الأنوار وبداية عصر النهضة، حيث شهدت توترات وحروب انتهت بانتصار العلم على الدين[18]. وظهر ما يعرف باسم الإصلاح الديني، وكان من رواده مارتن لوثر(1483م-1546م) عندما قدّم تناولًا يقوم على أنّ لكل إنسان مسيحي[19] مشروعية حق تفسير وتأويل الكتاب المقدّس، طالما الجميع قساوسة، الجميع علمانيين ، فلكل فرد الحق التّفسير، ويحث مارتن لوثرعلى ضرورة الثقة بالعقل ، وأنّه السّبيل الوحيد لفحص المعتقد الدّيني، وذلك بقبول ما يقبله العقل ورفض ما يرفضه العقل، فأصبحت سلطة العقل أعلى من سلطة النّص الديني ، ومن ثَمّ أفضى إلى التعددية الدينيّة ، بتعدد الصياغات الإنسانية للدّين، وتكمن قيمة الإصلاح أيضًا في دعوته إلى نبذ القانون الكنسي الذي جعل سلطة البابا فوق سلطة الكتاب المُقدّس، وأنّه وحده على ظهر هذه الأرض الذي يملك حق تفسير الكتاب المقدّس، سواء أكان البابا إنسانًا شريرًا أو خيّرًا، كما صار رجال الدّين وعلى رأسهم البابا طبقة أسمى من باقي البشر، يحاسبون البشر ولا أحد يحاسبهم ، فطالب مارتن لوثر بخضوع البابا ورجال الدّين للقانون المدني، ولا يجب أن يكون هناك إلاّ قانونًا واحدًا هو القانون المدني.

إنّ واقع الدين في المجتمعات الغربية يختلف عن واقع الدين في المجتمعات المسلمة ففي حين كان هو سببا في انحطاط الحضارة الغربية، ودخولها في ما يسمى بعصر الظلام نجد أنه كان السبب في ازدهار الحضارة الإسلامية، وقيامها بسبب تبنيها لتنظيم الدولة على أسس تحقيق الديمقراطية[20] والعدالة الاجتماعية، وتنمية الشعور بالكرامة الإنسانية والقضاء على النعرات

---

[18]- يورغنهابرماس و جوزف راستنغر، جدلية العلمنة العقل والدين ، ترجمة: حميد لشهب ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013 ، ص22.

[19]- فريال حسن خليفة، مرجع سابق ، ص 188.

[20]- عبد الله الخريجي، مرجع سابق ، ص 90.

العنصرية والاختلافات الطائفية العنصرية، ووضعت إطارا عاما للنظام المدني يحتوي تشريعا كاملا لجميع الأسس القانونية، وتنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض، وعلاقاتهم بالسلطة والمحافظة على الحقوق الخاصة للأفراد والحقوق العامة للجماعة . لذلك فإنّ الفكر الغربي يسعى إلى فصل الدين عن السلطة وتقليص دوره في حدود تكاد لا تتجاوز جدران الكنائس، خاصة مع ما تعرفه المجتمعات من تقدم تكنولوجي فتح أفاق جديدة ومحاور متجددة، تحوّل فيها الطرح الديني طرحًا قديمًا يحمل رواسب من الحقب التي تصور لهم عصور الظلام التي أحكم فيها رجال الدين سيطرتهم عليها، لذلك فالتمسك بالدين في المفهوم الغربي يعتبرونه رجعية وبإمكانه أن يحول دون الازدهار الذي يعيشه الآن المجتمع الغربي. وفي هذا السياق نجد مثلا أنّ **روبرت ردفيلد** (1897م- 1958م) عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي يرى[21] أنّ المقدس ينتشر في كثير من مناشط الحياة بالمجتمعات الصغيرة غير المستنيرة ، أما المجتمعات الكبيرة ذات التكنولوجيا المتقدمة ، والتي لديها مجموعة أكبر من المعرفة المنضبطة فإنّ مجال النشاط الذي يعدّ علمانيا يقع في نطاق أكبر، والنشاط المقدّس في الوحدات الاجتماعية المتمدنة الفخمة بأوروبا الحديثة وأمريكا ما يزال أقل أهمية في الحياة اليومية، وحيثما يكن له وجود على الإطلاق فإنه يقتصر على المناسبات الرسمية والشعائر الدينية.

جدلية الدين والعقل جاءت وفق طرح فلسفي قديم، وعلى قدمها بقي الطرح قائمًا رغم كثافة التناولات ، واستمرار هذه البحوث يرجع إلى ما نشهده من تغيرات وأحداث تحمل في طياتها جذور دينية وتناقضات فكرية ، غير أن ارتباط المفهوم بالوظيفة الاجتماعية لضمان الاستمرارية والتوازن وفق تحولات وانتقالات في البنى والنظم الاجتماعية وتغيرها المستمر وسط عناصر ثقافية جديدة، تجعل من المجتمعات البدائية مجتمعات حديثة ومن المجتمعات الحديثة مجتمعات أكثر حداثة، هذا المسار المتغير حمل معه معطيات مختلفة أنتجت من المعايير والمفاهيم ما سمح بإضفاء تعقيدا وتركيبا أكثر بخصوص مفهوم الدين في المجتمعات ، حيث أن تباين الاتجاهات والمواقف تزداد وضوحا وتفرعا والجدل بين العلم والدين وبين العقل والدين يحمل الصورة التي تبرز هذا التباين.

يحملنا هذا الجدل القائم بين العقل والدين نحو تشكيل صورة تتجه إلى طرح يناقض الآخر، العقل ويمثل المنطق والتجربة والقوانين، أمّا الدين فيمثّل الروح والاعتقاد والإيمان بالغيبيات وتزيد درجة إيمان الفرد كلّما سلّم بالغيبيات واعتقد بها، ليرتقي ويبلغ درجات إيمانية عالية لها عدة صفات " التقوى، التصوف، الزهد" إلى غيرها ، أمّا العلم فكلّما يتمكن الفرد من الحقائق وضبط المعادلات والقوانين كلّما حقق تقدّما وتطوّرًا ماديًا يتمثل في مختلف الإنتاجات والإبتكارات ، ومن هذه النقطة بالذات ينطلق الاختلاف الأوّل بين المُعطَيين ، أمّا الاختلاف الثّاني فيكمن في محاولة سيطرة كل واحد على الآخر، فإذا سيطر الدين منع العلم ، وإذا سيطر العلم حاصر الدين، هذه العلاقة الشائكة تخلق بضرورة الحال طرفين متضادين متصارعين، يحاول كل واحد منهما الاستمرار وباستمراره قضاء على الآخر، إنّها فلسفة بسيطة يطرحها الفكر الغربي حول الدين ومكّنته من ذلك معطيات عاصرها الغرب، فالتاريخ سجّل كم كان تناول الدين عند الغرب مجحفًا في حق العلم وفي حق المجتمع ، وكم كان متمكنًا ومسيطرًا على الفكر ومقيّدًا للحريات ، فعاش الغرب انحطاطًا وتقهقرًا تخبطوا فيه لعدة قرون باسم الدين، حقيقةً هذا هو حال الوضع عند الغرب وهذا ما سبب تحاملًا وسخطًا موجهين

---

[21]- المرجع السابق ، ص 444.

للدين، لكن هل كان الوضع مماثلًا عند المسلمين في علاقتهم بالدين؟ وكيف نفسر العصر الذهبي للحضارة الإسلامية التي أسسها الدين ؟

إن معطيات تأثير الدين مختلفة تمامًا في العالم الإسلامي، لأنّ له الفضل في بناء الحضارة، وفي إخراجهم من عالم الشتات والانحطاط إلى تكوين قوة ضاربة لها من المقومات والخصائص ما جعلها قائمة طيلة قرون من الزمن يشهد عليها التاريخ ، ولها من المعالم ما بقي حاضرًا حتى زمننا الحاضر، عكس مخلفات عصور الظلام التي تسبب فيها الفكر الكنسي عند المجتمعات الأوروبية.

إن الجدل القائم بين الدين والعقل له طرح مختلف من منظور له بواعث وحيثيات مختلفة يقوم على التكامل والتوافق في الدين الإسلامي ، وإعمال العقل يقودنا إلى مفاهيم دينية ، بل إنّ الإسلام يحثّ على إعمال العقل في مبادئه وممارساته ، ولعلّ استشهادنا بنزول أول آية من السماء قوله تعالى[22]: " إقرأ بسم ربك الذي خلق " والذي يحمل دعوة صريحة وواضحة إلى العلم والاجتهاد، وبهذا الموقف فالإسلام في محتواه يحمل دعمًا للعلم والعقل ، ولا يشكل معه تناقضًا، وإن ظهر مِن المنادين مَن يرون عكس ذلك فبناءاتهم ومنطلقاتهم خالية من المفاهيم الصحيحة للإسلام، ويحاولون في مسعاهم تقليد الغرب في علاقته بدينه دون دراية كاملة بدوره في البناء الحضاري لها.

الدين والواقع

يمكن القول أن الدين لعب دورًا مهمًا في المجتمعات وساهم في تغييرها، واستطاع أن يصبح محورًا لها ولنقاشات طويلة، وبعيدًا عن التصنيفات أو المحتويات التي تتضمنها الأديان نجد أنّها تقوم على فكرة مشتركة تتضمن العبادة والالتزام والخضوع ، كما أنّها تحتوي من الغيبيات والروحانيات ما يجعلها تشكّل عالمًا خاصًا بها ، يستأنس الإنسان بوجودها ويخضع لها ، ويتّخذ من الدين عقيدة له تصبح منهجه في الحياة ، من هذا المنطلق يصبح الطرح التحاوري في الأديان هدفًا ووسيلة بإمكانها أن تتجسد وتختزل الكثير من الصراعات التي سببها الاختلافات كصفة طبيعية ، فتعدد الأديان جاء من تعدد الشعوب والأجناس والثقافات لكنهيُعدّ الدين مقولة مزعجة لكل من المشرعين وعلماء الاجتماع[23]، وذلك لأنّ المفاهيم الدنيوية لا تتوافق مع تلك غير الدنيوية، ومن الأسباب ذات الصلة بذلك أن الدين يخرق بصورة جذرية ذلك الفارق القاطع بين الثقافة والطبيعة، ويتعامل عالم الاجتماع مع الدين باعتباره ظاهرة ثقافية، وهذا لا يتوافق ورأى معتنقي الأديان.

الدين في نظر المسيحي واليهودي والمسلم وغيرهم هبة من الرب للعباد، وهو خالق كل شيء، وكلمة "دين" بما تحتويه من معان ثقافية تمثل إشكالية بالنسبة إلى العديد من المؤمنين، حيث يفضلون في الأغلب الحديث عن معتقداتهم، وهو ما قد يفسر سبب الرأي الديني المسيحي المعارض جدًا للمثلية الجنسية ففي ذلك نقض ليس لأوامر الرب فحسب بل كذلك للنظام الطبيعي الذي وضعه، ويمكن مقارنة هذا بتعامل الإسلام مع الارتداد عن الدين الإسلامي، فهو إثم لا يُغتفر، فعندما

---

[22] - الآية 01 من سورة العلق .

[23] - جون سكوت ، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية ، ترجمة: محمد عثمان ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2009 ، ص 207 .

يعتنق الفرد الإسلام لا يقال إنه تحول إلى الإسلام ، بل عاد إلى الإسلام وهذا لأن المنظور الإسلامي يرى أنّ فطرة المرء هي الإسلام ونستطيع الإشارة إلى أنه يرجع مكمن الإزعاج في تناول موضوع الدين عمومًا لسببين: الأول هو الاختلاف والخلاف الكبيرين بين مؤيديه ومعارضيه ، فيمن يجعله فوق البشر وهو أكبر من أن يُستوعب أو يُدرس، وفيمن يجعله إنتاج بشري بل سببًا في التخلّف وعَقَبة أمام التّطور والتّقدم . أمّا السبب الثاني، فيعود إلى كيفية تناوله كمادة للدراسة بين دارسي محتوياته والسّاعين لشروحاته وتفسيراته وتأويلاته ، وبين دارسي وظائفه داخل المجتمع وعلاقاته مع مختلف الأنظمة السياسية والاقتصادية والثقافية... وغيرها.

الخاتمة

يحمل النظام العالمي الجديد المعبر عنه بالحداثي أو العولمي إقصاءً واضحا للدين، بل أصبح لا يرى فيه إلا إرثا ثقافيا بإمكان تطورات العلم والتكنولوجيا أن تتجاوزه ، وزاد الاعتماد التاريخي للمسار الديني في المجتمعات الغربية من تكريس هذا الموقف ، وخاصة وأنه كان موظفا توظيفا سياسويا خاضعا لنظام الحكم الذي كان يهدف للحفاظ على بقاءه وفقط ، مما يسر فصله فيما بعد عن الشأن السياسي وحتى الاجتماعي وأصبح رمزا ثقافيا في الكثير من المجتمعات ، وانحصرت ممارساته في الكنائس والمعابد بمباركة دولية للحد من آثاره وتشكيل مصادر جديدة بإمكانها مسايرة التغيرات الاجتماعية وتحقيق مطالبهم دون قيود قيمية وعرفية مستمدة من الدين بالدرجة الأولى، غير أن الوضع الديني والتاريخي للمجتمعات العربية مختلف تماما عما هو عليه في المجتمعات الغربية ، ورغم ذلك تأتي الكثير من التناولات متجاوزة هذه الخصوصية وتصنفه في نفس خانة الدين الغربي، وتحاول في الأخير الوصول به إلى نتائج متشابهة، وفي المقابل ظهرت مفاهيم اقترنت به زادت من حصاره مثل الاسلاموفوبيا والذي لا يمثل إلا نتيجة للتقاطع العولمي الديني من أجل إعادة تصنيفه خارج الأسس الجديدة لاستمرار عجلة الحداثة التي أصبحت واقعا تفرض معها سياسات تحمل مبدأ التنافس والتثاقف ضمن خرائط يصنعها الاقتصاد العالمي الجديد تنادي بالحوار والتعايش وفق مقترحاتها وقوانينها.

قائمة المراجع

- الماجدي خزعل، علم الأديان، المركز الثقافي للكتاب، الرباط بالمغرب، الطبعة الأولى، 2006.
- توفيق محمد نبيل، الدين والبناء الاجتماعي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة –المملكة العربية السعودية- ، 1981.
- بنتاجة محمد، نظرية التّقارب بين الأديان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2015 .
- عبد الرازق مصطفى، الدين والوحي والإسلام، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، الطبعة الأولى، 2019.
- السمالوطي نبيل، الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق ، جدة ، الجزء الثاني ،1981.
- حمداوي جميل، ميادين علم الاجتماع ، المغرب ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، 2015.
- إنزو باتشي وسابينواكوافيفا، علم الاجتماع الديني الإشكالات والسياقات، تر: عز الدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبوظبي ، الطبعة الأولى ، 2011.
- خليفة حسن فريال، الدين و السياسة في فلسفة الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2005.
- مجموعة من الباحثين، سوسيولوجيا المعرفة جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية، مركز الغدير، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2011.
- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2009.